البغدادي وآراؤه النحوية في خزانة الأدب

د/ عبد الله حسن أحمد الذنيبات(*)

الملخص

يعدّ عبد القادر بن عمر البغدادي من أبرز أعلام اللغة في القرن الحادي عشر للهجرة، إذ عُرف في مجال التأليف والفهرسة، وظل كتابه "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب" محل عناية الباحثين منذ تأليفه إلى وقتنا الحاضر.

وتهدف الدراسة إلى استجلاء صورةٍ واضحةٍ لآراء البغدادي النحوية وترجيحاته في كتاب خزانة الأدب، وفق المنهج الوصفي التحليلي، من حيث منهجه في الترجيح، وما تفرد به في خزانته.

ووجد الباحث أن البغدادي لم يكن متابعا أو مختارا لآراء النحاة وأقوالهم فحسب، بل أهلته ثقافته الواسعة أن يقف من الآراء النحوية موقف المتفحص المتثبت؛ لإعطاء بعض آرائه نوعا من الجدية والتفرد ويكون له رأي يأخذ طريقه بين الآراء، ومن المعروف أن النحوي الذي يسلك مثل هذا الطريق لابد أن يمتلك عدة تمكنه من الاجتهاد وكان البغدادي يمتلكها.

ويجب أن نفرّق بين نوعين من الآراء قبل التفصيل فيها، فآراء البغدادي في جملتها اختيارات، يقف فيها إلى جانب هذه الجماعة من النحاة أو تلك، يختار رأيها ويعلل لها أو يحتج بها، وإضافة إلى هذه الآراء نجده يورد طائفة من الآراء في بعض المسائل، كان البغدادي قد تمثل فيها القواعد النحوية تمثلا دقيقا وكوَّن لنفسه آراء اجتهادية.

(*) كلية الآداب والعلوم –جامعة العلوم الإسلامية العالمية – الأردن
Abdullahhasan24@yahoo.com

ABSTRACT

Abdul Qadir bin Omar Al-Baghdadi is considered one of the most prominent figures of the language in the eleventh century AH, as he was known in the field of writing and indexing, and his book "The Treasury of Literature and Lub Lubab Lisan Al-Arab" has been the subject of attention of researchers since its writing until the present time.

The study aims to clarify a clear picture of Al-Baghdadi's grammatical views and preferences in the book The Treasury of Literature, according to the descriptive and analytical approach, in terms of his approach to weighting, and what is unique about him in his book Treasury.

The researcher found that Al-Baghdadi was not only a follower or selector of the opinions and sayings of grammarians, but rather his extensive culture enabled him to take the position of a verified examiner regarding grammatical opinions. To give some of his opinions a kind of seriousness and uniqueness, and to have an opinion that takes its course between opinions, and it is known that the grammarian who follows such a path must possess tools that enable him to work diligently, and Al-Baghdadi had them.

We must differentiate between two types of opinions before elaborating on them. Al-Baghdadi's opinions are generally choices, in which he sides with this or that group of grammarians, chooses their opinion and justifies them or uses them as evidence. In addition to these opinions, we find him presenting a group of opinions on some issues. Al-Baghdadi accurately represented the grammatical rules and formed his own jurisprudential opinions

المبحث الأول

البغدادي وخزانة الأدب

هو عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادي[١]، ولد في بغداد سنة ١٠٣٠ هـ[٢]. في وقت كانت فيه هذه المدينة تتقاذفها قوّتان كبريان: الدولة الصفوية وعلى رأسها الشاه عباس[٣]، والدولة العثمانية، وقد عانت بغداد جراء ذلك من صراع عنيف ولّد في نفوس أبنائها الذعر والفزع، إلى أن عادت السيادة فيها إلى الدولة العثمانية.

وفي تلك الظروف الصعبة كان الشاب عبد القادر يعيش في بغداد، وينهل من معارف عصره علما ولغة، إضافة إلى معرفته للغات الفرس والترك، فشقّ لنفسه بذلك طريقا عظيما مكّنه من آداب هذه اللغات[٤].

أما بخصوص سيرته فلم تسعفنا المصادر التي ترجمت له في إلقاء الضوء على مزيد من المعلومات حول ولادته، ونشأته وتحصيله العلمي، وتشير المصادر إلى أنه تلقى في بغداد علومه الأولى، يقول المحبي:" وهو أحسن

---

(١)انظر البغدادي، عبدالقادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت: عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة ط٤، ١٩٩٧م مقدمة المحقق ٣/١ وردت هذه التسمية بخط البغدادي في مخطوطة فرحة الأديب لأبي محمد الأعرابي، كتبها البغدادي لنفسه، وهي مودعة بدار الكتب المصرية برقم (٧٨ مجاميع م) جاء في خاتمتها (تم هذا الكتاب بعون الله على يد الفقير إلى رحمة ربه الغفور: عبدالقادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادي كتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده...) وانظر المحبي، محمد أمين بن فضل الله، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مكتبة الخياط، بيروت ٤٥٢/٢ -٤٥٦

(٢)انظر: المحبي، خلاصة الأثر ٤٥١/٢

(٣)حكم إيران من سنة ١٥٨٨-١٦١٩م وكان عمره عند توليه الحكم سبع عشرة سنة، بلغ من قسوته أنه قتل ولده البكر صفي ميرزا انظر بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٨، ط١٣، ص ٥٧٨

(٤)انظر المحبي، خلاصة الأثر، ٢/ ٤٥١

المتأخرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعة، مع التثبت في النقل وزيادة الفضل، والانتقاد الحسن، ومناسبة إيراد كل شيء منها في موضعه، مع الملاطفة وقوة المذاكرة، وحسن المنادمة، وحفظ اللغة الفارسية والتركية بالإضافة إلى العربية، وإتقانها كل إتقان، ومعرفة الأشعار الحسنة منهما، وأخبار الفرس، خرج من بغداد وهو متقن لهذه اللغات الثلاث" [1].

ويمكننا من خلال حديث المحبي أن نضع ملامح للتركيبة الثقافية للبغدادي فهو من أكثر رجال عصره معرفة باللغات ودراية بها، ومن أكثر رجال عصره معرفة بالمرويات والمأثورات، و شديد الحرص على الدقة في نقل المادة العلمية، والدقة في إيراد أي زيادة أو إضافة يريدها، وكان ناقدا جيدا بعلمية متفردة، وحافظا لكثير من الأشعار في اللغات التي يتقنها.

ترك البغدادي مؤلفات كثيرة متنوعة في مجالات مختلفة، لكنها تدور في معظمها حول شرح الشواهد الشعرية النحوية، وهي على النحو الآتي:

أ- **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب:** ويعدّ هذا الكتاب أشهر كتبه، وأكثرها تنوعا وانتشارا، وهو الكتاب الذي خلّد ذكره[2]، وهو كتاب موسوعي في علوم العربية وآدابها، ألّفه شرحا لشواهد الرضي الأستراباذي على الكافية التي ألفها ابن الحاجب في علم النحو، وقد بلغت تسعمائة وسبعة وخمسين شاهدا من شواهد العربية[3].

ويثبت البغدادي تاريخ شروعه وفراغه من تأليف الخزانة في الكتاب عينه إذ يقول: "كَانَ ابتداء التَّأْلِيف بِمصر المحروسة فِي غرَّة شعْبَان من سنة ثلاث وَسبعين وَألف، وانتهاؤه فِي لَيْلَة الثلاثاء الثَّانِي وَالْعِشْرين من جُمَادَى الآخرة من

([1])المحبي، خلاصة الأثر ٤٥١/٢

([2])البغدادي، خزانة الأدب، مقدمة المحقق ١٩/١

([3]) انظر: المحبي، خلاصة الأثر ٤٥٢:٢

سنة تسع وَسبعين، فتكون مُدَّة التَّأْلِيف سِتّ سِنِين مَعَ مَا تخَلّل فِي أَثْنَائِهَا من العطلة بالرحلة، فَإِنِّي لمّا وصلت إِلَى شرح الشَّاهِد التَّاسِع وَالسِّتِّينَ بعد الستمائة سَافَرت إِلَى قسطنطينة فِي الثَّامِن عشر من ذِي الْقعدَة من سنة سبع وَسبعين وَلم يتَّفق لي أَن أشرح شَيْئا إِلَى أَن دخلت مصر المحروسة فِي الْيَوْم السَّابِع من ربيع الأول من الْعَام الْقَابِل، ثمَّ شرعت فِي ربيع الآخر وَقد يسّر الله التَّمام وَحسن الختام"[١].

ذكر البغدادي في مقدمة كتابه ثبتا للكتب التي اعتمد عليها، فمنها ما هو في علم النحو، و شروح الشواهد، وفي تفسير أبيات المعاني المشكلة، وما يرجع إلى دفاتر أشعار العرب من الدواوين والمجاميع، وما يرجع إلى فن الأدب ، وما يرجع إلى كتب السير وأنساب العرب، و طبقات الشعراء وغيرهم، و كتب اللغة، وما يتعلق بأغلاط النحويين وكتب الأمثال والأماكن والبلاد[٢].

وكتاب الخزانة يحوي كثيرا من لغات القبائل[٣] ولهجاتها وما استحضره من الأمثال والشواهد مع ما يتصل بها من علوم العربية على اختلاف فنونها ، من تفسير وتاريخ وشعر ولغة، معتمدا في ذلك كله على آراء الأئمة الأعلام، ينقل عنهم بدقة وأمانة مع التمحيص والترجيح دون تعصب، بل كان رائده الصواب حيثما كان، فلا يجد غضاضة في أن يصوّب فلانا أو يخطّئ فلانا إذا ما اتضح له وجه الحقيقة[٤].

بعد إصابة البغدادي بالرمد في عينه عاد إلى مصر، ولعله المكان الذي استقرت نفسه فيه، ففيه نهل من كبار شيوخه، وفيه عاجلته المنية في سنة

---

(١)البغدادي، خزانة الأدب ١١/ ٤٦٩

(٢)انظر :المرجع نفسه ١/١٩-٢٠

(٣)انظر دراسة: السبعان، ليلى خلف، لغات العرب في خزانة الأدب، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، ٢٠٠٦، عدد ٦٦.

(٤)انظر :البغدادي، مقدمة شرح أبيات مغني اللبيب، عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق ١/ د

١٠٩٣هـ، وبذلك عاش ثلاثة وستين عاما خلّف فيها تراثا علميا قيّما لا زال العلماء ينهلون من فيضه[١].

لا بد قبل الخوض في الجوانب النحوية لشخصية عبد القادر البغدادي من إلقاء الضوء على المدرسة البغدادية في النحو وآراء العلماء فيها.

فقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري(٣٢٨هـ) (الخلط أو التخليط) في تقويم منهج ابن كيسان النحوي فقال: "خلط فلم يضبط مذهب الكوفيين ولا مذهب البصريين"[٢].

وأشار السيرافي(٣٦٨هـ) إلى أن ابن كيسان كان "يخلط المذهبين"[٣]، وذكر "ممن يخلط علم البصريين بعلم الكوفيين: أبا بكر بن شقير، وأبا بكر بن الخياط"[٤].

ومن المؤكِّدين لوجود المدرسة البغدادية النحوية المستشرق بروكلمان[٥]،وأحمد أمين إذ يقول: "ومع هذا فقد كان التقاء الكوفيين و البصريين في بغداد سببا في عرض المذهبين ونقدهما، والانتخاب منهما، ووجود مذهب منتخب كان من ممثليه ابن قتيبة..."[٦].

---

(١) المحبي، خلاصة الأثر، ٢/ ٤٥٣

(٢)الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن(ت ٣٧٩هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٣٩٢هـ. ص ١٥٣.

(٣)ينظر: السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، أخبار النحويين البصريين. ت محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط١، ١١٣.

(٤)المرجع نفسه: ٩٥.

(٥)ينظر :بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. رمضان عبدالتواب، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م، ٢/٢٢١.

(٦)أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، الطبعة العاشرة، بيروت، د.ت: ٢/٢٩٨.

ويرى باحث آخر أنه: " لا يمكن تجاهل المدرسة البغدادية، وطمس معالمها، ولا أقصد بالمدرسة البغدادية مجرد سكن جماعة من النحاة مدينة بغداد، وإنما أذهب إلى تسميتهم بهذا الاسم؛ بسبب أخذهم الجيد من كل طرف، علاوة على ما قدموه من اجتهادات وآراء نحوية جديدة..." [١].

وفصّلت خديجة الحديثي أهم خصائص المدرسة البغدادية النحوية[٢]،في الجزء السابع من موسوعة حضارة العراق إذ أماطت فيها اللثام عن تاريخ نشأتها، وأسهبت في إظهار خصائصها ومزاياها، وقسمت النحاة إلى ثلاثة اتجاهات[٣]: اتجاه من ظل بصريا، واتجاه من ظل كوفيا، واتجاه من خلط المنهجين: وجديد هذه الدراسة إسهابها في ترسيخ خصائص المذهب البغدادي، إذ عدّت لهم إحدى عشرة خصيصة هي على التوالي: الخلط بين المذهبين المتقدمين، كثرة لجوئهم إلى التحليل والتعليل والحجاج والجدل المصحوب بالاستدلال، واعتمادهم التقدير في العبارات والشواهد الفصيحة والآيات القرآنية التي يوحي ظاهرها بالخروج عن الكثير المطرد في كلام العرب، واعتمادهم التفريع والتجزئة عندما قسموا الموضوع إلى أجزائه وحدّوا كل جزء منها، وتأثر بعضهم بألفاظ أهل المنطق والفلسفة، واهتمام بعضهم باختيار الفصيح من المسموع بعد التثبت منه ومن فصاحة الناطقين به، واهتمامهم بمسائل التدريب، وإيثار كل شيخ من شيوخهم مصطلحات المذهب الذي يميل إليه، ويضاف إليها اهتمام بعضهم بالعامل النحوي ووضع أحكامه وتفصيل أصوله، وابتكار آراء خاصة لم يسبقوا إليها، كالقياس أحيانا على الشاهد الواحد الفصيح المسموع.

([١])الساهي، علي عبود، الخشاب حياته ونحوه:، مطبعة الجامعة، بغداد،١٩٩٠م، ص٤٨.

([٢])الحديثي، خديجة وغيرها، حضارة العراق دار الحرية بغداد،١٩٨٥، ٧ / ٢٦٤–٢٨٨.

([٣])انظر تفصيلها: الحديثي، حضارة العراق ٧/ ٢٦٤–٢٨٨

فهل تكفي هذه الخصائص والمزايا للقول :إنه مذهب منفرد أم أن المكابرة تبقى سيدة الموقف؟[1]

وليس شرطا اجتماع هذه السمات كلِّها في نحوي واحد للحكم عليه بأنه بغدادي، و في رأيي يعد عدم انحياز النحوي لأي من المدرستين السابقتين، والإفادة من نتاجهما سببين كافيين للحكم على النحوي بأنه ينهج منهج البغداديين في النحو، كان النحاة البغداديون متهمين في أصولهم هذه بالمتابعة والسير في ركاب القدامى، فإن موقفهم الجديد تجلى بوضوح في قضية الشواهد، والشاهد في علم النحو هو المادة الأساسية التي تبنى عليه القاعدة النحوية، فالنحو يدرس التفاعل بين الكلمات، ومادة الدراسة النحوية في القديم والحديث كلام العرب، فكيف كان موقف مدرسة بغداد من هذه الشواهد؟.

ومن المعروف أن البصريين والكوفيين رفضوا الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف وبشعر المحدثين، وجعلوا ابن هرمة القرشي (ت١٧٦هـ) سقفا زمنيا لصحة الاحتجاج بشعر الشعراء فخالفهم البغداديون واحتجوا بالحديث النبوي. فأبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) احتج في (الشيرازيات) باثني عشر حديثا، وحذا حذوه تلميذه ابن جني (ت٣٩٢هـ). وقد أكثر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) فيما بعد من الاحتجاج به حتى بلغ هذا الاحتجاج ذروته مع الرضي الاستراباذي فاحتج على صحة القواعد النحوية بخمسة وأربعين حديثا في شرح الكافية وبثلاثة فقط في شرح الشافية، وموقف البغداديين من الاستشهاد بالحديث النبوي لاقى استحسان الدارسين المحدثين مما حمل مجمع اللغة بالقاهرة على وضع شروط معينة لصحة

(١)الحديثي، حضارة العراق، ٢٨٧/٧.

الاحتجاج به، حيث صححوا خطأ المتقدمين، وأسقطوا ذرائعهم في عدم الاحتجاج به[١].

أما احتجاجهم بشعر المولدين فكان جديدا أيضا؛ لأن البصريين والكوفيين احتجوا بما رواه أبو تمام (ت ٢٣٢هـ) في حماسته ولم يحتجوا بشعره، فكيف يكون ثقة في ما روى ولا يكون ثقة فيما نظم؟ وعندما كانوا يحتجون بشعر المحدثين كانوا ينتحلون أعذارا وحججا أوهى من خيط العنكبوت، فيحتجون به على المعنى لا على صحة القاعدة النحوية[٢].

ومن البغداديين الأوائل أبو علي الفارسي حيث استشهد بشعر أبي تمام والمتنبي والبحتري، وحذا حذوه الزمخشري، واحتج ابن جني بشعر أبي نواس والمتنبي على المعنى دون اللفظ أو النحو.

أما الرضي الاستراباذي فقد احتج بشعر المولّدين دون حرج، ومن هؤلاء المحدثين الذين احتج بشعرهم أشجع السلمي (ت ١٩٥هـ) وأبو نواس (١٩٩هـ) وأبو تمام (ت ٢٣٢هـ) والمتنبي (ت ٣٥٤هـ) وغيرهم كثير، وهكذا فإن البغداديين مجددون في شواهدهم، منسجمون في ضرورة التطور اللغوي المرافق لتطور الحياة[٣].

لم يكن البغدادي متابعا أو مختارا لآراء النحاة وأقوالهم فحسب بل أهلته ثقافته الواسعة أن يقف من الآراء النحوية موقف المتفحص المتثبت؛ لإعطاء بعض آرائه نوعا من الجدية والتفرد ويكون له رأي يأخذ طريقه بين الآراء ، ومن

---

(١)انظر فجال، محمود، الإصباح في شرح الاقتراح، دار القلم، دمشق، ط. ١ ١٩٨٩م. ص١٢٠

(٢)انظر: المغالسة، محمود حسني، المدرسة البغدادية في النحو العربي، (١٩٨٦)، مؤسسة الرسالة– دار عمار– ط١، ص ١٢٠

(٣)المرجع نفسه، ص ١٢٠

المعروف أن النحوي الذي يسلك مثل هذا الطريق لابد أن يمتلك عدة تمكنه من الاجتهاد وكان البغدادي يمتلكها.

ويجب أن نفرّق بين نوعين من الآراء قبل التفصيل فيها، فآراء البغدادي في جملتها اختيارات، يقف فيها إلى جانب هذه الجماعة من النحاة أو تلك، يختار رأيها ويعلل لها أو يحتج بها، وإضافة إلى هذه الآراء نجده يورد طائفة من الآراء في بعض المسائل ، كان البغدادي قد تمثل فيها القواعد النحوية تمثلا دقيقا وكوَّن لنفسه آراء اجتهادية، هذه الآراء وإنْ كانت فرعا من أصل لكنها منحته مظهرا من مظاهر الاستقلال والتفرد، واستطاع أن يثبت وجوده بما يشهد له بطول الباع وعلوّ المكانة والتقدم في علوم العربية[1].

(١) انظر: البقاعين، عبدالقادر بن عمر البغدادي وآراؤه النحوية ص ٣١

المبحث الثاني

آراء البغدادي في خزانة الأدب:

ومن الآراء التي وقف عليها الباحث ما يلي:

١,٤ اجتماع (أل) والهمزة في (أناس):

ذهب بعض النحويين إلى أن اجتماع (أل) والهمزة في أناس غير جائز؛ إذ لا يمكن الجمع بين العوض والمعوّض عنه، يقول الشاعر[١]:

إنَّ المَنايَــا يَطَّلِعْــنَ علــى الأُنــاسِ الآمنينــا

يقول سيبويه: واعلم أنه لا يجوز لك أن تنادي اسما فيه الألف واللام البتة، إلا أنهم قد قالوا: (يا الله اغفر لنا)، وذلك من قِبل أنه اسم يلزمه الألف واللام ولا يفارقانه، وكثر في كلامهم فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التي من نفس الحروف[٢].

ويتابع سيبويه: وكأن الاسم –والله أعلم– إله فلما أدخل فيه الألف واللام حذفوا الألف وصارت الألف واللام خلفا منها[٣].

ومثل ذلك أناس فإذا أدخلت الألف واللام قلت الناس إلا أن الناس قد تفارقهم الألف واللام ويكون نكرة واسم الله تبارك وتعالى لا يكون فيه ذلك والألف واللام في اسم الله تعالى بمنزلة شيء غير منفصل في الكلمة[٤].

---

(١)البيت لذي جدن الحميري انظر: البغدادي، خزانة الأدب ٢٨٠/٢ وانظر حداد، حنا جميل، معجم شواهد النحو الشعرية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٩٨٤: ص ٦٥٧ رقم ٢٨٩٠، والبيت مدور ينتهي شطره الأول عند العين، وهو من مجزوء الكامل.

(٢)سيبويه، الكتاب، ١٩٥/٢

(٣)المرجع نفسه، ١٩٥/٢

(٤) المرجع نفسه، ١٩٦/٢

وقد اعترض عليه البغدادي بقوله: "هَذَا يدلّ على أَن (أل) فِي الْبَيْت لَيست عوضا من الْهمزَة إِذْ لَو كَانَت عوضا لم يجز أَن يُقَال نَاس: من غير (همزَة) ولا (أل) إِذْ لا يجوز الْخُلُوّ عَن الْعِوَض والمعوّض عَنهُ، وَمَا ذكره من كَونه عوضا من الْهمزَة هُوَ مَذْهَب سِيبَوَيْه وَتَبعهُ الزَّمَخْشَرِيّ وَالْقَاضِي وَغَيرهمَا"[1].

وهنا يُظهر البغدادي فكره النحوي في تمحيص الآراء ومراجعتها، وتأييد ما صح فيها من وجهة نظره، وردّ ما تسرب إليه الخطأ أو نقصه الدليل، واعتراضه بالدليل النحوي على مذهب سيبويه يؤكد امتلاكه شخصية نحوية متفردة.

٢,٤ مخالفة المعطوف للمعطوف عليه في الإعراب

تجتمع حروف العطف كلها في إدخال الثاني في إعراب الأول، فإن خالف الثاني الأول في الإعراب، حمل على المعنى أو على الاستئناف والقطع أو على الضرورة، وتتمثل هذه المسالة في مناقشة البغدادي لآراء النحاة في بيت الفرزدق[2]:

وَعَضّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَنَ مِنْ الْمَالِ إلا مُسْحَتا أَوْ
لَمْ يَدَعْ مُجَلَّفِ

فقد أورده الرضي[3]على أنه: تجوز المخالفة في الإعراب، إذا عرف المراد فقوله (مُجلّفٌ) حملا على المعنى، إذ معنى لم يدع إلا مسحتا: لم يبق من جور الزمان إلا مسحت، ويجوز أن يكون المعنى (أو هو مجلف) و أو هنا منقطعة: أي (بل هو مجلف)، أو أن يكون (مجلف) مصدرا عطف على (عضّ).

([1])البغدادي، خزانة الأدب، ٢/٢٨٠

([2])الفرزدق، ديوانه ٦٢/٢ و البغدادي، خزانة الأدب، ٥/ ١٤٤

([3]) الاستراباذي ، شرح الشافية، ٣٥٥/٢، البغدادي، خزانة الأدب، ١٤٤/٥

وقد وصف ابن قتيبة رفع آخر البيت بالضرورة[١]، كما وصف البغدادي هذا البيت بالصعوبة: وَهَذَا الْبَيْت صَعب الإعْرَاب "[٢] وقد نسب البغدادي آراء العلماء التي جمعها الرضي وذلك بقوله: وَقد تكلّف لَهُ الْعلمَاء عدَّة توجيهات[٣].

وقد اعترض البغدادي على قول الرضي إن (أو) للإضراب بمعنى بل فقال: هذا لا يناسب المعنى، وإنما يناسبه لو كان مسحتا بعد (أو)، فهي هنا لعطف جملة على مفرد، ومعناها أحد الشيئين، وهذه ملاحظة جديرة بالانتباه تعتمد على فهم المعنى المقصود: فالمسحت[٤]: من سحت رأسه سحتا وأسحت ماله استأصله وأفسده، والمجلف[٥]: الذي بقيت منه بقية وهو الرجل الذي جلفته السنون: أي أذهبت أمواله، فالأولى أن يكون المسحت معطوفا على المجلف إذا كان معناه الإضراب.

٣,٤ إثبات نون الجمع في الإضافة

من المعروف أن نون الجمع في حالة الإضافة تحذف، إلا أنها وردت غير محذوفة في أحد الشواهد، وفيها قيل إن الشاهد مصنوع تارة، ومنهم من ذهب إلى تأويلات مختلفة، يقول سيبويه: واعلم أن حذف النون والتنوين لازم مع علامة المضمر غير المنفصل؛ لأنه لا يتكلم به مفردا حتى يكون متصلا بفعل قبله أو باسم فيه ضمير، فصار كأنه النون والتنوين في الاسم، لأنهما لا يكونان إلا زوائد ولا يكونان إلا في أواخر الحروف، والمظهر وإن كان يعاقب النون والتنوين فإنه

---

(١)انظر الفراء، معاني القرآن ١٨٢/٢وانظر: البغدادي، خزانة الأدب، ١٤٥/٥

(٢)انظر الاستراباذي، شرح الشافية، ٣٥٥/٢،البغدادي، خزانة الأدب، ١٤٥/٥

(٣)انظر تفصيلها في: البغدادي خزانة الأدب، /٥ ١٤٦-١٤٧

(٤)انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب،دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨ م مادة سحت ٤/ ٥٠٦

(٥)ابن منظور، اللسان مادة جلف، ١٧٧/٢

ليس كعلامة المضمر المتصل؛ لأنه اسم ينفصل ويبتدأ، وليس كعلامة الإضمار لأنها في اللفظ كالنون والتنوين، فهي أقرب إليها من المظهر، اجتمع فيها هذا والمعاقبة،وقد جاء في الشعر، وقال[1]:

ولـــم يَرْتَفِـــقْ والنـــاسُ مَحْتَضِـــرُونَه جميعـــا وأَيْـــدي المُعْتَفِـــيْنَ رواهِقُـــهْ

هـــمُ الْقَـــائِلُونَ الْخَيْـــرَ وَالْآمِرُونَـــهُ إِذَا مَا خَشَوْا مِنْ مُحْدَثِ الْأَمْرِ مُعْظَمَا

ويذهب المبرد إلى أن البيتين مصنوعان يقول: وكلاهما مصنوع، وليس أحد من النحويين المفتشين يجيز مثل هذا في الضرورة[2]، ويذهب البغدادي إلى أن إثبات النون في قوله: (والآمرونه) قد يكون من باب الحذف والإيصال، يقول[3]: ولا يبعد أَن يكون من بَاب الحَذف والإيصال وَالأَصْل (والآمرون بِهِ) فحذفت الْبَاء واتّصل الضَّمِير بِهِ فإنّ (أَمر) يتعدّى إِلَى الْمَأْمُور بِنَفسِهِ وَإِلَى الْمَأْمُور بِهِ بِالْبَاء يُقَال: أَمرته بِكَذَا، والمأمور هُنَا مَحْذُوف أَي: الآمرون النَّاس بِالْخَيرِ فَيكون الضَّمِير مَنْصُوبا لا مجرورا، وهذا اجتهاد لم يقل به أحد سابقيه في حدود ما اطلعنا عليه.

(١) الشاهدان بلا نسبة عند سيبويه، انظر :الكتاب ١٨٨/١، والمُعظم: اسْم مفعول وَهُوَ الأمر الَّذِي يعظم دَفعه. أي: هَؤُلَاءِ يَفْعَلُونَ الْخَيْر ويأمرون بِهِ فِي وَقت خشيتهم الْأَمر الْعَظِيم من حوادث الدّهر فَلَا يمنعهُم خوف الضَّرَر عَن الأمر بِالْمَعْرُوفِ.انظر ، البغدادي ، خزانة الأدب، ٢٧٠/٤

(٢) المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، المقتضب الكامل في اللغة والنحو، ٢٨٥/١

(٣) البغدادي، خزانة الأدب، ٢٧٠/٤

٤,٤ إبدال الفعل من الفعل

أورد البغدادي شاهد سيبويه وذهب مذهبه في أن الفعل يبدل من الفعل إذا كان الثاني راجح البيان على الأول، كما في قول الشاعر:

إِنَّ عَلَــيَّ اللَّــهَ أَنْ تُبَايِعَــا تُؤْخَــذَ كَرْهــا أَوْ تَجِــيءَ طَائِعَــا

فتؤخذ بدل من تبَايع، وتجيء: مَعْطُوف على تُؤْخَذ، ويتابع البغدادي: وَهَذَا الْبَدَل أبين من الْمُبدل مِنْهُ، وَالْبدل فِي الْحَقِيقَة إِنَّمَا هُوَ مَجْمُوع الْمَعْطُوف والمعطوف عَلَيْهِ، إِذْ لا تكون الْمُبَايعَة إِلا على أحد الْوَجْهَيْنِ من إِكْرَاه أَو طَاعَة، وَهُوَ كَقَوْلِهِم: الرُّمَّان حُلْو حامض، وَإِن كَانَ يُقَال بِاعْتِبَار اللَّفْظ إِنّ (تَجِيءَ) مَعْطُوف على (تُؤْخَذَ)[١].

ويرى البغدادي أن إبدال الفعل من الفعل إنما هو إبدال مفرد من مفرد، ودليله ظهور النصب كما في الشاهد السابق، وظهور الجزم عليه.

لأن مضاعفة العذاب هي لقي الآثام، ويرى سيبويه في باب ما يرتفع بين جزمين: ومثل ذلك من الكلام "إن تأتنا نُحسنْ إليك ونحملك" وتفسير الإحسان بشيء هو؛ وتجعل الآخر بدلا من الأول[٢].

(١) البغدادي، خزانة الأدب، ٢٠٣/٥

(٢) سيبويه، الكتاب، ١٠٢/٣

الخاتمة

وبعد هذه يمكننا وضع ملامح عامة لمنهج البغدادي في الترجيح والتفرد:

١-لم يكن البغدادي مقلدا لغيره في الآراء، حيث بنى اعتراضاته على الحجة والدليل.

٢-أخذ الاعتراض عند البغدادي أشكالا متعددة: فمنها ما جاء على الآراء التي لا دليل فيها، ومنها ما جاء تصحيحا لسوء فهم المتلقي، أو خطأ في الرواية، أو تأييدا لاعتراض نحوي عند السابقين.

٣-يحرص البغدادي على تأخير اعتراضاته، إلا إذا وجد ضرورة لاستعجال تسجيل اعتراضاته.

٤-المعترض عليه عند البغدادي لم يكن مدرسة، وإنما جاءت اعتراضاته بعيدة عن التحيز لمذهب أو شخص فهو يؤيد رأيا لسيبويه ويعارض رأيا آخر له، وهذا حاله مع النحويين جميعهم.

٥- البغدادي لطيف وهادئ في اعتراضاته، إلا في بعض المواضع بيّنة الخطأ.

٦- يعتمد البغدادي في اعتراضاته على أدلة عدة منها: النقل و العروض و إفساد دليل أو تقويم حكم.

المراجع

١. القرآن الكريم
٢. أحمد أمين، (د.ت). **ضحى الإسلام**، دار الكتاب العربي، الطبعة العاشرة، بيروت.
٣. الاستراباذي، محمد بن الحسن الرضي، (١٩٦٦). **شرح الرضي على لكافية ابن الحاجب**، ت محمد بن الحسن الحفظي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود.
٤. بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة د. رمضان عبدالتواب، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م.
٥. البغدادي، عبد القادر بن عمر، (١٩٧٨م). **شرح أبيات مغني اللبيب**، ، تحقيق عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق،.
٦. البغدادي، عبدالقادر بن عمر، (١٩٩٨م). **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ت محمد نبيل طريفي/إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧. البقاعين، عادل، (١٩٨٧). **عبدالقادر بن عمر البغدادي وآراؤه النحوية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
٨. الحديثي، خديجة وآخرون، (١٩٨٥). **حضارة العراق**، دار الحرية، بغداد.
٩. الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن(١٣٩٢هـ). (ت ٣٧٩هـ)، **طبقات النحويين واللغويين**، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر.
١٠. الساهي، علي عبود، (١٩٩٠م). **الخشاب حياته ونحوه**، مطبعة الجامعة، بغداد، العراق.

١١. السبعان، ليلى خلف، (٢٠٠٦). لغات العرب في خزانة الأدب، **مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية**، الكويت، عدد ٦٦. ص ٢٠٠-٢٣٠.

١٢. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (د. ت).**الكتاب**،(ت١٨٠)، ت عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت.

١٣. السيرافي، عبدالقادر (د.ت).**أخبار النحويين البصريين**، ت محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط١.

١٤. فجال، محمود، (١٩٨٩م). **الإصباح في شرح الاقتراح**، دار القلم، دمشق، ط. ١.

١٥. الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة، (١٩٣٦). **ديوانه**، ت عبدالله الصاوي، مطبعة

١٦. المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، (د. ت). **المقتضب**، ت محمد عبد الخالق عضيمة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

١٧. المحبي، محمد أمين بن فضل الله، (د. ت). **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، مكتبة الخياط، بيروت.

١٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٩٦٨ م). **لسان العرب**،دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

***